مفهوم الشفاعة

في

القرآن الكريم

بقلم الأستاذ الدكتور

عبد المنعم على إبراهيم القصاص

الأستاذ المساعد فى التفسير وعلوم القرآن

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية - للبنين

قسم أصول الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله الصادق الأمين ، صلوات ربي وسلامه عليه وآله وأصحابه أجمعين .

وبعد : فقد أردت والمشيئة لله أن أكتب بحثاً في مفهوم الشفاعة في القرآن ، لأن موضوع الشفاعة من المواضيع التي تجعل المؤمن يزداد حباً لرسول الله ﷺ ، وقد أنكر بعض الناس الشفاعة ، لأنهم لم يفرقوا بين الشفاعة المثبتة التي أثبتها الحق تبارك وتعالى لأهل الإخلاص والتقوى ، والشفاعة المنفية وهي التي تطلب من غير الله أو بغير إذنه أو لأهل الشرك . أما الشفاعة المثبتة ، فقد ذكرها الله في القرآن الكريم فقال : (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال سبحانه وتعالى : (يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا) .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله :

وله الشفاعة كلها وهو الذي   في ذاك يأذن للشفيع الداني

لمن ارتضى ممن يوحده ولم   يشرك كما جاء في القرآن

وأما الشفاعة المنفية ، فقد ذكرها الله في قوله الكريم (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون) إن من أنكر الشفاعة لأهل الكبائر والشفاعة في خروج الموحدين من النار فقد جانبه الصواب ، وإن من ظن أن النبي صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من شاء ويخرج من النار من شاء ، وهكذا يظن أن للنبي ﷺ التصرف المطلق ، فقد جانب من يظن ذلك الصواب ، والحق أقول : بأن النبي ﷺ سيشفع في الآخرة بشروط هي :

أولها : إسلام المشفوع له .

ثانيها : الإذن له فى الشفاعة .

ثالثها : الرضا عن المشفوع له .

رابعها : قدرة الشافع على الشفاعة .

وأسأل الله أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم ، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بالعلم ويزيننا بالحلم ويجملنا بالتقوى ، وأن ينقى سرائرنا وأن يطهر قلوبنا من الغل والحقد والحسد ، وأن يجمعنا على الهدى ، وان يشرح صدورنا وأن يوفقنا إلى الرجوع إلى القرآن الكريم ، وسنة رسولنا الأمين ، إن ربى سميع مجيب الدعاء .

المؤلف أبو محمد

أ . د عبد المنعم على إبراهيم القصاص

الشفاعة فى اللغة العربية والاصطلاح :

قال الراغب الأصفهانى فى كتابه : المفردات :

« والشفاعة : الانضمام إلى آخر ناصراً له وسائلا عنه ، وأكثر ماتستعمل فى انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى . ومنه الشفاعة فى القيامة . قال تعالى . « لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهد »

وقال ابن الأثير فى النهاية : قد تكرر ذكر الشفاعة فى الحديث فيما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة ، وهى للسؤال فى التجاوز عن الذنوب والجرائم بينهم . يقال : شفع يشفع شفاعة فهو شافع وشفيع . والمشفع : الذى يقبل الشفاعة ، والمشفع ـ بفتح الفاء ـ الذى تقبل شفاعته . ا هـ .

وفى القاموس وتاج العروس : والشفيع : صاحب الشفاعة ، والجمع شفعاء ، وهو الطالب لغيره يتشفع فيه إلى المطلوب .

وفى حديث ابن مسعود رضى الله عنه وأرضاه : « القرآن شافع مشفع وما حل مصدق » .

والمعانى اللغوية موافقة تماما المعانى الشرعية ، فمن الشفعاء من يشفع ابتداء ، ومنهم من يشفع بعد الطلب ، فالشفاعة فى اللغة : هى الوسيلة والطلب ـ وفى الاصطلاح وعرف العلماء هى : سؤال الخير للغير . . وقيل : هى السؤال فى التجاوز عن الذنوب والجرائم .

الشفاعة بين المانعين والمجيزين :

قال الإمام القرطبى فى تفسيره ما نصه :

« مذهب أهل الحق أن الشفاعة حق وأنكرها المعتزلة وخلدوا المذنبين من المؤمنين الذين دخلوا النار فى العذاب ، والأخبار متظاهرة بأن من كان من العصاة المذنبين الموحدين من أمم النبيين هم الذين تنالهم شفاعة الشافعين

من الملائكة والنبيين والشهداء والصالحين ، وقد تمسك القاضى بالرد عليهم بشيئين :

أحدهما : الأخبار الكثيرة التي تواترت فى المعنى .

والثانى : الإجماع من السلف على تلقى هذه الأخبار بالقبول ولم يبد أحد منهم فى عصر من الأعصار نكير ، فظهور روايتها وإطباقهم على صحتها لها دليل قاطع على صحة عقيدة أهل الحق وفساد دين غيرهم »[1] .

موقف المعتزلة من الشفاعة :

إذا قلبنا صفحات كتاب شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار نجده يقول فى موضوع الشفاعة مانصه : « وجملة القول فى ذلك أنه لا خلاف بين الأمة فى شفاعة النبى ﷺ ثابتة للأمة وإنما الخلاف فى أنها تثبت لمن ؟

فعندنا ـ أى عند المعتزلة ـ أن الشفاعة للتائبين من المؤمنين ، وعند المرجئة : أنها للفساق من أهل الصلاة .

فقد دلت الدلالة على أن العقوبة تستحق على طريق الدوام ، فكيف يخرج الفاسق من النار بشفاعة النبى ﷺ ؟ إلى أن قال « وجملة ذلك أن فائدة الشفاعة رفع مرتبة الشفيع والدلالة على منزلته من المشفوع » .

ثم يقول رحمه الله :

« وأما موضوعها ، فقد اختلف الناس فيه فعندنا أن موضوع الشفاعة هى لكى يصل المشفوع له إلى حاجته ، ثم إن حاجته إما أن تكون نفعاً يناله من مال وحشمة أو ضرراً يدفع عنه »[2] .

---

(١) تفسير القرطبي ج/٣٢٣ ط الشعب المصرية .

(٢) شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ٦٨٦/١ .

الرد على كلام المعتزلة :

نقول وبالله التوفيق : أيهما أحق وأحوج إلى الشفاعة ؟

المؤمن الذى أكرمه الله وأدخله الجنة ؟ أو المؤمن العاصى صاحب الكبيرة الذى دخل النار بسببها ؟ لا شك أن الثانى هو الفقير إلى الشفاعة وهو المحتاج إليها ، وكذلك الخلائق فى كونهم فى الموقف العصيب الرهيب هم أيضاً فى مقام حرج ، فهم أيضاً محتاجون إلى الشفاعة .

قال صاحب المواقف ما ملخصه :

« الشفاعة المقبولة عندنا هى لأهل الكبائر من الأمة فى إسقاط العقاب عنهم ، لقوله ﷺ « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى »[1] .

وقول الله تعالى فى سورة محمد ﷺ : ١٩ (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم) .

ومرتكب الكبيرة مؤمن وطلب المغفرة شفاعة له فى إسقاط العقاب عنه ، وقالت المعتزلة : إنما هى لزيادة الثواب لا لدرء العقاب ، لقوله تعالى : (واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون) البقرة : ١٢٣ وهو عام فى شفاعة النبى وغيره . والجواب عنها : أنه لا عموم له فى الأعيان ، لأن الضمير لقوله : معينين ، هم اليهود فلا يلزم أن ينتفع بالشفاعة غيرهم ولا عموم له فى الزمان ، لأنه لوقت مخصوص هو اليوم المذكور فيه فلا يلزم عدم نفعها فى غير ذلك الوقت وفيه بحث ، لأن الضمير فى قوله (ولا تنفعها) راجع إلى النفس الثانية وهى نكرة فى سياق النفى فتكون عامة وإن كانت واردة على سبب خاص »[2].

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود ١٠٦/٥ .

(٢) من كتاب المواقف للقاضى عبد الرحمن بن أحمد الإيجى ٣١٢/٨ .

أقوال المجيزين للشفاعة :

قال الإمام أبو محمد على بن حزم الأندلسى الظاهرى :

« اختلف الناس فى الشفاعة فأنكرها قوم وهم المعتزلة والخوارج وكل من تبع أن لا يخرج أحد من النار بعد دخوله فيها ، وذهب أهل السنة والأشعرية والكرامية وبعض الرافضة إلى القول بالشفاعة ،واحتج المانعون بقول الله عز وجل (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) وبقوله (يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله) إلى أن قال صاحب الفصل :

وقد نص الله تعالى على صحة الشفاعة فى القرآن الكريم فقال تعالى : (لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) وقال الله تعالى :

(يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا) فنص سبحانه وتعالى على أن الشفاعة يوم القيامة تنفع عنده عز وجل ممن أذن له فيها ورضى قوله ، ولا أحد من الناس أولى بذلك من محمد ﷺ ، لأنه أفضل ولد آدم عليه السلام[1] .

وجاء فى شرح الطحاوية ما ملخصه :

« الشفاعة أنواع : منها ما هو متفق عليه بين الأمة ، ومنها ما خالف فيه المعتزلة ونحوهم من أهل البدع » .

(النوع الأول) : الشفاعة الأولى وهى العظمى الخاصة بنبينا ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين .

(النوع الثانى والثالث) : شفاعته ﷺ فى أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم .

---

(١) من كتاب الفصل فى الملل والنحل .

(النوع الرابع) : شفاعته ﷺ فى رفع درجات من يدخل الجنة ، وقد وافقت المعتزلة على هذه الشفاعة خاصة وخالفوا فيما عداها من المقامات مع تواتر الأحاديث .

(النوع الخامس) : الشفاعة فى أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب ، والدليل على ذلك حديث أبو هريرة فى الصحيح عن رسول الله ﷺ قال : « سألت ربى فوعدنى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا بغير حساب فاستزدت ربى فزادنى مع كل ألف سبعين ألفا » .

(النوع السادس) : الشفاعة فى تخفيف العذاب عمن يستحقه كشفاعته فى عمه أبى طالب أن يخفف عنه عذابه . ثم قال القرطبى فى التذكرة بعد ذكر هذا النوع : فإن قيل : قال الله تعالى : (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) قيل له : لا تنفعه فى الخروج من النار كما تنفع عصاة الموحدين الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة .

(النوع السابع) : شفاعته ﷺ أن يؤذن لجميع المؤمنين فى دخول الجنة . والدليل على ذلك ما رواه مسلم أن رسول الله ﷺ قال : « أنا أول شفيع فى الجنة »

(النوع الثامن) : شفاعته ﷺ فى أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار فيخرجون منها ، وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث ، وقد خفى علم ذلك على الخوارج والمعتزلة فخالفوا فى ذلك جهلا منهم بصحة الأحاديث وعناداً ممن علم ذلك واستمر على بدعته[1] » اهـ .

وقد استدل أهل السنة والجماعة بالآيات القرآنية الكريمة التى تثبت

---

(١) من شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية ١ / ١٥٤ بتصرف قليل .

الشفاعة والشفيع ، والأحاديث الصحيحة التى وردت فى هذا الموضوع . واستدل المانعون على الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبويةالتى وردت فى نفى الشفاعة والشفيع ، ولما كان تخصصى الدقيق هو تفسير القرآن الكريم وبيانه للناس على قدر طاقتى البشرية الضعيفة وجدت أنه من الأفضل ذكر الآيات القرآنية النافية للشفاعة والشفيع ، والآيات المثبتة للشفاعة والشفيع ، وتفسير هذه الآيات مع محاولة الجمع بين الآيات وإزالة ما يوهم التعارض بينها . وأسأل الله العون والتوفيق .

تفسير الآيات الواردة فى نفى الشفاعة والشفيع :

١ — قال تعالى فى سورة البقرة : ٤٨ .

(واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولاهم ينصرون) .

التفسير :

الحق تبارك وتعالى لما ذكر بنى إسرائيل فى الآية السابقة بنعمه عليهم ، فقال جل جلاله (يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين : ٤٧) .

عطف على ذلك التحذير من طول وشدة غضبه عليهم يوم القيامة فقال: (واتقوا يوما) أى يوم القيامة (لا تجزى نفس عن نفس شيئاً) أى لا يغنى أحد عن أحد كما قال (لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه) .

وقوله تعالى : (ولا يقبل منها شفاعة) يعنى من الكافرين .

كما قال سبحانه فى سورة المدثر (ولا تنفعهم شفاعة الشافعين) .

وكما قال عن أهل النار (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم) .

قوله (ولا يؤخذ منها عدل) أى لا يقبل منها فداء .

كما قال رب العزة (فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به) قال ابن عباس (ولا يؤخذ منها عدل) قال : بدل والبدل : الفدية . وكأن الحق تبارك وتعالى يحذرهم ويخوفهم إن ظلوا على كفرهم وعناهم إلى يوم القيامة ، فإنه لا ينفعهم قرابة قريب ولا شفاعة ذى جاه ولا يقبل منهم فداء . قوله (ولاهم ينصرون) قال الإمام الطبرى : يعنى أنهم يومئـــذ لا ينصرهم ناصر كما لا يشفع لهم شافع ، ولا يقبل منهم عدل ولا فدية بطلت هناك المحاباة واضمحلت الرشا والشفاعات وارتفع من القوم التناصر والتعاون، وصار الحكم إلى الجبار العدل الذى لا ينفع لديه الشفعاء والنصراء فيجزى بالسيئة مثلها وبالحسنات أضعافها ، وذلك نظير قوله تعالى : (وقفوهم إنهم مسئولون ما لكم لا تناصرون * بل هم اليوم مستسلمون[1]) .

٢ — قال تعالى فى سورة البقرة : ١٢٣ .

(واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون) .

قال الكرمانى ما ملخصه :

« قدم الشفاعة فى الآية رقم : ٤٨ وأخر العدل ، وقدم العدل فى الآية رقم : ١٢٣ من هذه السورة وأخر الشفاعة ، وإنما قدم الشفاعة قطعاً لطمع من زعم أن آباءهم تشفع لهم ، وأن الأصنام شفعاؤهم عند الله ، وأخرها فى الآية الأخرى ، لأن التقدير فى الآيتين معاً لا يقبل منها شفاعة فتنفعها

---

(١) راجع تفسير ابن كثير المختصر للصابونى ٦٣/١ .

تلك الشفاعة ، لأن النفع بعد القبول وقدم العدل فى الآية الأخرى ليكون لفظ القبول مقدما فيها[1] » .

قال الجمل فى حاشيته « عبارة الخازن : وفى هذه الآية عظة لليهود الذين كانوا فى زمن الرسول ﷺ وكررها فى أول السورة ، وهنا التوكيد وتذكير النعم .

قوله (واتقوا يوما) أى خافوا يوما ، على حذف مضاف أى خافوا عذابه (لا تجزى نفس عن نفس شيئاً) أى مؤمنة عن نفس كافرة . وقوله (ولا يقبل منها) أى النفس الكافرة ، وكذا بقية الضمائر . قوله (عدل ولا تنفعها شفاعة) أى فداء (ولاهم ينصرون) يمنعون من عذاب الله[2] .

٣ ــ قال تعالى فى سورة البقرة : ٢٥٤ .

(يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون) .

قال القرطبى : « أخبر الله تعالى ألا خلة فى الآخرة ولا شفاعة إلا بإذن الله وحقيقتها رحمة منه تعالى شرف بها الذى أذن له فى أن يشفع »[3] .

ويقول العلامة ابن كثير « يأمر تعالى عباده بالإنفاق مما رزقهم فى سبيله، سبيل الخير ليدخروا ثواب ذلك عند ربهم ومليكهم وليبادروا إلى ذلك فى هذه الحياة الدنيا (من قبل أن يأتى يوم) يوم القيامة (ولا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) أى لا يباع أحد من نفسه ولا يفادى بمال ولو بذله

---

(١) أسرار التكرار فى القرآن لتاج القراء محمود بن حمزه الكرمانى ٢٦/١ ط . الاعتصام .

(٢) راجع حاشية الجمل على الجلالين ١٠١/١ ط . الحلبى .

(٣) تفسير القرطبى ١٠٧٦/٢ ط . الشعب .

ولو جاء بملء الأرض ذهبا ، ولا تنفعه خلة ، يعني صداقته بل ولا نسابته كما قال : (فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) .

(ولا شفاعة) : أى ولا تنفعهم شفاعة الشافعين . وقوله (والكافرون هم الظالمون) مبتدأ محصور فى خبره ، أى ولا ظالم أظلم ممن وافى الله يومئذ كافرا .

وقد روى عن عطاء بن دينار أنه قال : الحمد لله الذى قال : (والكافرون هم الظالمون) ولم يقل والظالمون هم الكافرون »[1] .

هذه الآية الكريمة هى آية مقيدة بآية (إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا) والنبى ﷺ مأذون له أو يستأذن فيؤذن له ، وهذا ما قرره الكرخى ونقله عنه الجمل فى حاشيته على الجلالين[2] .

٤ - قال الله تعالى فى سورة الأنعام : ٧٠ .

(وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) .

التفسير :

يأمر الله رسوله ﷺ أن يترك هؤلاء الكفرة الذين اتخذوا الدين الذى جئتهم به لعباً ولهواً واستهزاء بك وبالدين الذى جئتهم به أمهلهم قليلا فإنهم صائرون إلى عذاب عظيم ، فقوله تعالى :

(وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً) .

---

(١) تفسير ابن كثير المختصر ٢٢٦/١ ، دار القرآن .

(٢) الجمل ٢٠٦/١ .

قال البيضاوى : أى بنوا أمر دينهم على التشهى وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا أو آجلا كعبادة الصنم .

أعرض عنهم ولا تبال بأفعالهم وأقوالهم .

قوله تعالى : (وغرتهم الحياة الدنيا) بزخرفها الفانى .

(وذكر به) أى عظ الناس بالقرآن وحذرهم عذاب الله يوم القيامة (أن تبسل نفس بما كسبت) أى لئلا تبسل أى تسلم . وقيل : تحبس ، وقيل : تفتضح . وهذه المعانى متقاربة ، وحاصلها الإسلام للهلكة والحبس عن الخير والارتهان عن درك المطلوب .

قوله : (ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع) أى لا قريب ولا أحد يشفع فيها (وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا) أى ولو بذلت كل مبذول ما قبل منها كقوله تعالى : (إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا فوضح لنا أن هذه الآية تنفى الشفاعة للكافرين[1] .

٥ ـ قال تعالى فى سورة يونس : ١٨ .

(ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات والأرض سبحانه وتعالى عما يشركون) .

التفسير :

الحق تبارك وتعالى ينكر على المشركين الذين عبدوا مع الله آلهة أخرى

---

(١) راجع تفسير البيضاوى ١/ ، وتفسير ابن كثير ٧٣/٢ ط . دار القرآن .

وظنوا أنها تنفعهم وتشفع لهم عند الله ، فأخبر الله العليم الخبير أن هذه المعبودات لا تضر ولا تنفع ولا تملك شيئاً لمن عبدها . ثم قال :

(قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض) أى أتخبرون الله بما لا يعلم ، وهو استفهام إنكارى إذ لو كان له شريك لعلمه ، لأنه لا يخفى عليه شيء (سبحانه وتعالى عما يشركون) لقد نزه الله نفسه الكريمة عن شركهم وكفرهم ، وقد ظهر لنا أن هذه الآية الكريمة تنفى الشفاعة عن أهل الكفر والشرك والضلال .

٦ — قال الله تعالى فى سورة السجدة الآية رقم : ٤ .

(الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون) .

المعنى الإجمالى لهذه الآية :

يخبر الله تعالى أنه وحده الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش وهو الذى يدبر الأمور فلا شريك له ولا ند له ولا صاحبة له ولا شفيع إلا من بعد إذنه (أفلا تتذكرون) يعنى أيها العابدون غير المتوكلين على من سواه .

٧ — قال تعالى فى سورة يس الآية رقم : ٢٣ .

(ءأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون) .

التفسير :

سياق هذه الآية يدل على أن القوم كانوا عبدة أصنام وأوثان ، لذلك جاء قوله (ءأتخذ من دونه آلهة) استفهام إنكارى توبيخى لهؤلاء الكفرة .

إن أهل القرية هموا بقتل رسلهم فجاءهم رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين .. إلى آخر الآيات . أما قوله تعالى :

(إن يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا) .

والمعنى : أن هذه الآلهة التى تعبدونها من دون الله ولا يملكون من الأمر شيئاً ، لأن مالك الأمر هو الله سبحانه وتعالى الذى لو أرادنى بسوء (فلا كاشف له إلا هو) . أما هذه الأصنام فلا تملك دفع ذلك ولا منعه .

(ولا ينقذون) مما أنا فيه ، وبذلك ظهر الحق ووضح لنا أن هذه الآية تنفى الشفاعة ، لأنها شفاعة من غير الله ولا يرضى الله عنها .

٨ ، ٩ — يقول الحق تبارك وتعالى : (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون * قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون) ٤٣ ، ٤٤ : سورة الزمر .

التفسير :

فى هاتين الآيتين الكريمتين يذم الله المشركين الذين اتخذوا شفعاء من دون الله ، وهم الأصنام التى لا تعقل فلا تجلب نفعاً ولا تدفع ضرا ، ثم يوجه الله نبيه ﷺ فيقول له (قل) لهم يا محمد إن ما اتخذوه شفعاء لهم عند الله لا تنفعهم ، لأن الشفاعة لا تنفع عند الله إلا لمن ارتضاه الله وأذن له فرجعها إليه جل جلاله .

١٠ — قال تعالى فى سورة غافر الآية رقم : ١٨ .

(وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) .

التفسير :

والمعنى الإجمالى لهذه الآية : أن يقول النبى ﷺ (وأنذرهم) أى

حذرهم وخوفهم (يوم الآزفة) أى يوم القيامة (إذ القلوب لدى الحناجر) أى وقفت القلوب فى الحناجر من الخوف فلا تخرج ولا تعود إلى أما كنها. (كاظمين) سا كتين با كين (ماللظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) أى ليس لهؤلاء الكفرة من قريب ينفعهم ولا شفيع يشفع لهم ، لقد تقطعت بينهم الأسباب . والمراد من الآية الكريمة : نفى الشفاعة والطاعة ، قال الحسن البصرى « والله ما يكون لهم شفيع البتة »(١) .

١١ — قال الله تعالى فى سورة المدثر (فما تنفعهم شفاعة الشافعين : ٤٨) .

ذكر الحق تبارك وتعالى قبل هذه الآية صفات الكافرين الذين كانوا يكذبون بيوم الدين ، ومن كان متصفاً بهذه الصفات الذميمة لا تنفعه يوم القيامة شفاعة شافع فيه ، لأن الشفاعة إنما تنفع إذا كان المحل قابلا ، فأما من كفر بالله ومات على الكفر فإن له النار وبئس القرار .

الآيات التى تثبت الشفاعة :

١ — قال تعالى فى سورة البقرة : ٢٥٥ .

(الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم) .

التفسير :

قال ابن كثير : قوله تعالى : (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) كقوله تعالى : (وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد

---

(١) تفسير ابن كثير ٢٣٩/٣ وتفسير النسفى ٧٤/٤ ط . الحلبى .

أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) . وكقوله (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) هذا من عظمته وجلاله وكبريائه عز وجل أنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له في الشفاعة كما في حديث الشفاعة : « آتي تحت العرش فأخر ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني . ثم يقال : إرفع رأسك وقل تسمع ، واشفع تشفع ـ قال ـ فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة »[1] .

وقال القرطبي : « وتقرر في هذه الآية أن الله يأذن لمن يشاء في الشفاعة ، وهم : الأنبياء والعلماء والمجاهدون والملائكة وغيرهم ممن أكرمهم وشرفهم الله ثم لا يشفعون إلا لمن ارتضى »[2] .

وفي حاشية الجمل ما نصه « قوله : (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) رد على المشركين حيث زعموا أن الأصنام تشفع لهم . وقوله (إلا بإذنه) يريد بذلك شفاعة النبي وشفاعة بعض الأنبياء والملائكة وشفاعة بعض المؤمنين . اهـ . خازن »[3] .

٢ ــ قال تعالى في سورة يونس الآية رقم : ٣ .

(إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون) .

التفسير :

قال ابن كثير ما ملخصه « يخبر الله تعالى أنه رب العالم جميعه ، وأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام . قيل : كهذه الأيام . وقيل : كل يوم كألف

---

(١) تفسير ابن كثير ٣ / ٢٣٠ ط . دار القلم بيروت .
(٢) تفسير القرطبي ١ / ٨٣ ١ ط . الشعب .
(٣) حاشية الجمل ١ / ٢٠٧ .

سنة مما تعدون (ثم استوى على العرش يدبر الأمر) أى يدبر أمر الخلائق (ما من شفيع إلا من بعد إذنه) كقوله : (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) وكقوله تعالى (وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) . وقوله (ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون) أى أفردوه بالعبادة وحده لا شريك له (أفلا تذكرون) أيها المشركون المتفرد بالخلق كقوله تعالى : (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولون الله)[٢] .

وفى تفسير القرطبى : « (ما من شفيع إلا من بعد إذنه) والمعنى : فلا يشفع أحد نبى ولا غيره إلا بإذنه تعالى ، وهذا رد على الكفار فى قولهم فيما عبدوه من دون الله (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) فأعلمهم الله أن أحداً لا يشفع لأحد إلا بإذنه ، فكيف بأصنام لا تعقل ؟ »[٣] .

٣ – قال الله تعالى فى سورة الأنبياء الآية : ١٨ .

(يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) .

قال القرطبى ما ملخصه : هذه الآية الكريمة نزلت فى قبيلة خزاعة حيث قالوا : الملائكة بنات الله وكانوا يعبدونهم طمعاً فى شفاعتهم لهم . وروى معمر عن قتادة قال : قالت اليهود : أو طوائف من الناس إن خاتن إلى الجن والملائكة من الجن ، فقال الله عز وجل (سبحانه) تنزيها له (بل عباد) أى بل هم عباد (مكرمون) أى ليس كما زعم هؤلاء الكفار .

(لا يسبقونه بالقول) أى لا يقولون حتى يقول ولا يتكلمون إلا بما

---

(٢) من تفسير ابن كثير المختصر ٢ / ١٨٣ ط دار القرآن .
(٣) تفسير القرطبى لآية الكرسى ٤ / ٣١٤٧ ط الشعب .

بأمرهم (وهم بأمره يعملون) أى بطاعته وأوامره (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أى يعلم ما عملوا وما هم عاملون (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى).

قال ابن عباس: هم أهل شهادة أن لا إله إلا الله.

وقال مجاهد: هم كل من رضى الله عنه والملائكة يشفعون غداً فى الآخرة كما فى صحيح مسلم وغيره، وفى الدنيا أيضاً فإنهم يستغفرون للمؤمنين ولمن فى الأرض كما جاء فى التنزيل، وهم - يعنى الملائكة (من خشيته) يعنى من خوفه (مشفقون) أى خائفون»[1].

٤ - قال تعالى فى سورة طه: ١٠٩.

(يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا).

المعنى الإجمالى:

أن الحق تبارك وتعالى أخبر أن الشفاعة يوم القيامة لا تنفع أحداً إلا شفاعة من أذن له الرحمن (ورضى له قولا) أى رضى قوله فى الشفاعة. وقيل: المعنى أى إنما تنفع الشفاعة لمن أذن له الرحمن فى أن يشفع له وكان له قول يرضى.

قال ابن عباس: هو قول لا إله إلا الله[2].

٥ - قال تعالى فى سورة الزخرف: ٨٦.

(ولا يملك الذين يدعون من دونه إلا من شهد بالحق وهم يعلمون).

التفسير:

يبين الحق تبارك وتعالى أن المعبودات الباطلة مثل الأصنام والأنداد

---

(١) من تفسير القرطبى بتصرف قليل ٥ / ٤٣٢١ ط الشعب.

(٢) راجع تفسير القرطبى ٥ / ٤٢٨٧ ط. الشعب.

والأوثان لا تملك الشفاعة لأحد ولا يقدرون عليها أى لا يشفعون لأحد من الخلق ، إنما الذين شهدوا بالحق على بصيرة وعلم فإن شفاعتهم تنفع بإذن الله ، لأنهم هم أهل التقوى والتوحيد الذين عبدوا الله وآمنوا به وبرسله إيماناً ثابتاً .

٦ — قوله تبارك وتعالى فى سورة النجم (٢٦) :

(وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) .

التفسير :

يخبر الحق تبارك وتعالى أن الملائكة المقربين على كثرة عددهم لا تنفع شفاعتهم للخلائق يوم القيامة إلا بعد أن يأذن الله لهم فى الشفاعة ، وهذه الآية هى بمثابة التقريع للكافرين الذين زعموا بأن الأصنام تشفع لهم عند الله (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) فإذا كان ما سبق أن الملائكة لا تشفع لأحد إلا بإذن الله ، فكيف ترجون شفاعة الأصنام والأنداد عند الله وهو تبارك وتعالى لم يشرع ولم يأمر بعبادة هذه الأصنام ؟ فظهر لنا من هذه الآية الكريمة أن شفاعة الشافعين يوم القيامة لابد فيها من إذن الله ورضاه تبارك وتعالى .

الجمع بين الآيات المثبتة للشفاعة والآيات النافية لها :

نقول وبالله التوفيق : إن النفى المقصود من الآيات القرآنية الصريحة فى نفى الشفاعة والشفيع يكون فى الشفاعة التى تطلب من غير الله ، لأن الله سبحانه وتعالى قال (قل لله الشفاعة جميعا) .

ومن المعلوم عند أهل العلم بكتاب الله أن الشفاعة الثابتة بالقرآن والسنة تقبل بشروط أربعة :

أولها : قدرة الشافع على الشفاعة كما قال تعالى فى حق الشافع الذى تطلب منه الشفاعة وهو غير قادر عليها .

(ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) .

وقوله تعالى :

(ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) .

فعلم من ذلك أن طلب الشفاعة من الأموات طلب ممن لا يملكها .

قال تعالى :

(والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير * إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) .

ثانيها : إسلام المشفوع له . قال تعالى : (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) والمراد بالظالمين هنا : الكافرون . بدليل الأحاديث المتواترة فى الشفاعة لأهل الكبائر .

قال الحافظ البيهقى رحمه الله فى الشعب جـ ١ ص ٢٠٥ : فالظالمون ها هنا هم : الكافرون . ويشهد لذلك مفتتح الآية إذ هى فى ذكر الكافرين . اهـ .

ثالثها : الإذن للشافع كما قال رب العزة والجلال (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) .

رابعها : الرضا عن المشفوع له كما قال الله تعالى : (وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) .

وقوله (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) .

ولنا كلمة أخيرة فى الجمع بين الآيات النافية والآيات المثبتة للشفاعة .
وهى : أن القيامة مواطن متعددة ، فربما لم يكن الرسول ﷺ مأذونا فى بعض المواضع وبعض الأوقات فلا يشفع فى ذلك المكان ولا فى ذلك الزمان ثم يصير مأذونا فى موضع آخر وفى وقت آخر فى الشفاعة فيشفع هناك . والله أعلم

أخرج الإمام أحمد فى مسنده عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول شافع يوم القيامة ولا فخر »(١) .

---

(١) مسند الإمام أحمد ٣ / ٢ .

الخاتمة

الحمد لله فى البدء والختام ، والصلاة والسلام على خير الأنام ، سيدنا محمد بن عبد الله صاحب المقام المحمود ، والحوض المورود ، أرسله الله رحمة للعالمين ، وإماماً للمتقين ، وخاتما للنبيين صلوات ربى وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وبعد : فهذا بحث موجز فى موضوع الشفاعة فى ضوء القرآن الكريم ، تعرضت فيه لتعريف الشفاعة عند أهل العلم ، وذكرت الآيات القرآنية وبعض الأحاديث النبوية التى تثبت الشفاعة ، وتعرضت للآيات القرآنية التى تنفى الشفاعة ، وحاولت الجمع بين الآيات المثبتة والآيات المنفية على قدر طاقتى البشرية والعلمية ، وذكرت أدلة المعتزلة التى كتبوها فى كتبهم ، وناقشت بعضها ونقلت ما قاله أهل العقيدة وعلماء التفسير ، وأوجزت الكلام إيجازاً أظن أن فيه الإفادة ، ولم أستوعب لضيق الوقت وخشية التطويل ، وقد اقتصرت فى هذا البحث على مفهوم الشفاعة فى القرآن الكريم .

أما موضوع الشفاعة فى السنة المشرفة ، فله مراجع متعددة مثل : صحيح البخارى وصحيح مسلم ومسند الإمام أحمد وسنن الترمذى وابن ماجه وسنن أبى داود ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ فليبحث عنها من يريد ، ففيها الخير والعلم الأكيد » .

وفى النهاية أقول : هذا هو جهدى وهو جهد المقل ، فإن كنت قد وفقت فلله الحمد والشكر ، وإن كنت قد قصرت فأسأل الله المغفرة والتوفيق والسداد ، إن ربى سميع مجيب الدعاء وهو حسبى ونعم الوكيل .

المؤلف

أ . د / عبد المنعم على القصاص

اهم المراجع

١ — القرآن الكريم	المتوفى سنة
٢ — جامع البيان للطبرى	٣١٠
٣ — أسرار التكرار للكرمانى	٥٠٠
٤ — المفردات للراغب الأصفهانى	٥٠٠
٥ — تفسير القرطبى	٦٧١
٦ — أنوار التنزيل للبيضاوى	٦٨٥
٧ — تفسير ابن كثير	٧٧٤
٨ — حاشية الجمل على الجلالين	

من كتب السنة :

١ — مسند الإمام أحمد	٢٤١
٢ — صحيح البخارى	٢٥٦
٣ — سنن الترمذى	٢٧٩
٤ — سنن البيهقى	٢٥٨

من كتب المعاجم :

١ — القاموس المحيط	٣٠١
٢ — معجم الألفاظ القرآنية ، للأستاذ محمد إبراهيم	معاصر

مراجع أخرى :

١ — الشفاعة ، تأليف أبو عبد الرحمن الوادعى ط . الكويت

٢ — المواقف ، للقاضى عضو الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجى المتوفى سنة ٨١٦ .

٣ – الفصل فى الملل والنحل ، الإمام أبى محمد على بن حزم الظاهرى المتوفى سنة ٤٥٦ .

٤ – مقالات الإسلاميين .

٥ – شرح الطحاوية ، للعلامة على بن على المتوفى سنة ٧٩٣ .

٦ – شرح الأصول الخمسة ، للقاضى عبد الجبار بن أحمد .

محتويات العدد

الموضوع	الصفحة
حماسة المراهقين والضعفاء للجهاد وموقف الرسول منهم الدكتور السيد أحمد إبراهيم حمور أستاذ التاريخ والحضارة المساعد بجامعة الأزهر	١٥٩ - ١٩٢
الزيادى : وأثره فى الدراسات النحوية واللغوية الأستاذ الدكتور فؤاد على مخيمر أستاذ اللغويات بالكلية	١٩٣ - ٢٧٢
بحوث فى الشريعة الإسلامية وأصول الدين	
بحث فى الصبى وأهم ما يتعلق به من أحكام العبادات فى الفقه الإسلامى الدكتور عبد الرحمن على الهوارى أستاذ الفقه المقارن المساعد بقسم الشريعة الإسلامية	٢٧٥ - ٣٤٠
مفهوم الشفاعة فى القرآن الكريم الدكتور عبد المنعم على إبراهيم القصاص الأستاذ المساعد فى التفسير وعلوم القرآن	٣٤١ - ٣٦٦

رقم الإيداع بدار الكتب (٦١٩٤ / ١٩٨٩)